جمهورية مصر العربية	٦ ذو الحجة ١٤٤٢ هـ
وزارة الأوقاف	١٦ يوليو ٢٠٢١م

(١)

الحقوق والحرمات في خطبة حجة الوداع

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فأول ما تطالعنا به خطبة حجة الوداع هو حرمة الدماء والأموال والأعراض، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (...فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا- يوم عرفة-، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا- شهر ذي الحجة-، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا- مكة المكرمة-)، ومن المعلوم أن الشريعة قد حفظت دم وعرض ومال كل إنسان، بغض النظر عن دينه، أو جنسه، أو لونه، حيث يقول (عز وجل): {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}، ويقول تعالى: {مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ الناس جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}.

وكما حرَّم الإسلام الاعتداء على الأنفس فقد حرم كذلك الاعتداء على الأموال بأي صورة من الصور، حيث يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}.

وكذلك حرم الإسلام الاعتداء على الأعراض بأي وجه من الوجوه،حيث يقول تعالى: { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}، ويقول سبحانه: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (...وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ).

وقد عُنيت خطبة حجة الوداع ببيان الحقوق، ومن أهم هذه الحقوق التي أكدت عليها تنبيهًا على أهميتها، وتنويهًا بشأنها: حق المساواة بين الناس جميعًا، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى)، فلا فضل للون أو جنس، ولا مزية لوطن أو لغة، إنما هو مقياس واحد تتحدد به القيم، ويُعرف به فضل الناس جميعًا، وهو قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.

ومن الحقوق التي أكد عليها نبينا (صلى الله عليه وسلم) في خطبته: حق المرأة، فقدْ أوصَى (صلى الله عليه وسلم) بالمرأةِ تقديرًا لها، وبيانًا لمكانتِهَا، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ)، فقد جاء الإسلام ليقضي على الظلم الذي كان يقع على المرأة في الجاهلية، وليحافظ على كرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خيرًا).

ومن أهم الحقوق التي تناولتها خطبة حجة الوداع: حق الميراث؛ فقد أكد نبينا (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة الالتزام بمنهج الله، وإعطاء كل وارث حقه، وأنه لا وصية لوارث، وأن الوصية لا تجوز فيما زاد على الثلث، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللهَ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ المِيرَاثِ، فَلا تَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ).

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ولا يفوتنا في هذه الأيام المباركة أن نذكِّر بسنة نبينا (صلى الله عليه وسلم) في صيام يوم عرفة، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ)، كما لا يفوتنا أن ننبه أن من سنته (صلى الله عليه وسلم) الأضحية على القادر المستطيع، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): في الأضحية: (... وَإِنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) بِمَكَانٍ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا).

اللهم ارزقنا فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين